دراسات في التكرار القرآني من القرن الثالث الهجري إلى القرن الخامس الهجري

م.م . ستار فليح حسن العبيدي المديرية العامة لتربية ديالى

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين واصحابه الغر الميامين ومن تبعهم الى يوم الدين. ان ظاهر التكرار القرآني شغلت العلماء من القراء والمفسرين والنحوين وعلماء اللغة بشكل عام واقام العلماء والكتاب بتحليل هذه الظاهرة ومنهم من افرد كتبا عنها انها من اعجاز القرآن ومن اسرار كلام الله سبحانه وتعالى وقد عني القدماء بدراسة هذه الظاهرة واعتمدت هذا البحث لاتخذ بعض الدراسات الذي قام بها علمائنا وحددت في بحثي هذا الفترة الزمنية التي تبدأ من القرن الثالث الهجري الى القرن الخامس الهجري لانها بدايات تناول هذا الموضو . وقد قسمت بحثي الى المقدمة والتمهيد وجعلته مباحث في المبحث الاول اهم الدراسات في ظاهرة التكرار في القرآن الكريم فبدأت في كتاب معاني القرآن .للقراء .وكتاب (تأويل مشكل القرآن المسمى تكرار الكلام والزيادة فيه) لابن قتيبه اما المبحث الثاني فكان في كتب التفسير ومنها (الكشاف للزمخثري) وكتب الاعجاز القرآني ومنها ثلاث رسائل في اعجاز القرآن . للخطابي والكرماني في كتاب : اسرار التكرار في القرآن.وضمنت البحث النتائج وثبت المصادر ومن الله التوفيق.

التمهيد

حد التكرار

(لغة") ! كرر : الكر إلرجو . يقال كره وكر بنفسه يتعدى ولا يتعدى . والكر : مصدر كر عليه يكر كر وكورا" وتكرارا" عطف . وكرر الشيء وكر كره : أعاده مرة بعد أخرى (١) وعن الجوهري : كررت الشيء تكريرا (٢)

(اصطلاحا)

أن التكرار هو التجديد للفظ الأول ويفيد ضربا من التأكيد(٣) سواء كان اللفظ متفق المعنى إمكان مختلفا . او يأتي بمعنى من المعاني ثم يعيده مرة أخرى ، او إعادة الشيء لفائدة (٤) ويأتي التكرار لأغراض مختلفة منها : التعجب ، التوكيد ، التقرير ، الوعيد ، الوعد ، قال

تعالى (فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر) (٥) هنا كرر العبارة تأكيدا لذمته وتقيما لحاله. ولغاية التهكم به كأنه قال متعجبا ، قال :اشما أرو تفكيره وابد رأيه الحصين.

وظاهرة التكرار في الدراسات القرآنية تعرض لها العلماء العرب في دراساتهم المختلفة في الاسلوب القرآني الذي تناولوه بالدرس والتحليل (٦) ونلاحظ الدراسات في القرن الثالث الهجري بالقرآن الكريم ، كانت عظيمة واخذت بالتطور بصورة مطرد ، واتجهت للنقد الادبي والبلاغة وظهرت بشكل واضح ما بين القرن الثالث الى القرن الخامس .

حيث تداخلت الدراسات وامتزجت وظهر الجمال في الاسلوب القرآني ،فكانت دراسة اسلوب القرآن تعتمد على البلاغة .وكانت البلاغة تعتمد على الشاهد القرآني لتستعين بهع في توضيح الاصطلاحات وتثبيتها في الزمن الى جانب الشواهد القرآنية والشعرية والادبية الاخرى [١]

ولعل الدراسات التي تناولت التكرار في القرآن الكريم هي من اقدس الدراسات واشرفها واكثرها احتواء" على الوان مختلفة من الاعجاز ، ولعل التكرار واحدا" من تلك الالوان التي يبدو فيها الاعجاز جليا مما كان احد الاسباب التي دفعتني للكتابة في هذا الموضو .

ان الاعجاز جاء جليا في القرآن الكريم شاملا تعددت فوائده وتباينت اغراضه من تأكيد الى تعجب وتقرير ولو نلاحظ المثال القرآني لبرهنا على كلامنا .قال تعالى (قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم اكن بدعائك ربي شقيا، واني خفت الموالي منورائي وكانت امرأتي عاقرا" فهب لي من لدنك وليا، يرثني ويرث من ال يعقوب واجعله رب رضيا) [٢]

هذه الحكاية عن سيدنا (زكريا) عليه السلام إلا ترى الى هذا التبتل والخشو في دعاء حزين صادق يفطر القلب يقطر اسى وحسرة ،وقد ساعدت تكرار لفظة (رب) على خلق هذا الجو المؤثر ويبدو لي انه ، لوحذفت لفظة (رب) من النص القرآني لفقد هذا التاثير القوى الذي حققه لنا التكرار. حتى لو وجدت هذه اللفظة مرة واحدة [٣]

ويبدو ان التكرار في القرآن ليس مختصرا على الاسم الظاهر ، بل الفعل واسم الفعل واعادة الضمير والحرف وغيرهما من الاساليب النحوية والبلاغية ، قال تعالى ((أقرأ بأسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق)) [١] وقوله ((هيهات هيهات لما توعدون)) [٢]

وقوله ((ان ربك هو اعلم من ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين)) [٣] ثن انظر الى قوله تعالى ((كلا اذا دكت الارض دكا دكا،وجاء ربك والملك صفا صفا)) [٤] فتكرار كلمة (دكا") انما يؤكد معناها ويقرره ، بينما يدلنا تكرار (صفا") على الترتيب فظلا عن معنى التاكيد السابق وكثيرا" ما نجد عبارات مكررة في القرآن الكريم يخبرنا الله تعالى من خلالها بصفاته مثل قوله تعالى ((ان الله على كل شيء قدير)) ((ان الله مع الصابرين)) ((ان الله بما تعملون بصير)) ((ان الله يحب المحسنين ((ان الله واسع عليم)) وغيرها كثير في القرآن الكريم.

وهناك تكرار يبين لنا اعجاز القرآن المتفرد به وحده ،وتبين انه لم توضع الالفاظ عبثا"، ولا من غير حساب ، بل هي موضوعه وضعا" دقيقا بحساب دقيق ، فقد تبين ان لفظة (الدنيا) تكررت في التنزيل بقدر (الاخرة) فقد تكرر كل منها (١١٥ مرة) وان لفظة (الملائكة) تكررت بقدر الشياطين

فقد تكررت كل منهما (مرة) [١]

ومن يدري ماذا سيجد الدارسون في تكرار الالفاظ في القرآن الكريم من الغاز واعجاز وعجائب ، فان هذا الكتاب كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عنه ((لاتنقضي عجائبه))

وهناك عبارات اخرى تتكرر لتاكيد وعد الله ووعيد مثل قوله تعالى ((ان الله مع المتقين ، ان الله لايحب الكافرين)) فهذا التكرار يقرر تلك الصفات وهذه المعاني في النفس البشرية،واذا تقررت هذه المعاني في النفس انبثق منها العمل الصالح المبني على اساس الايمان المتين [٢]

وبهذا يتضح ان القرآن الكريم يعمد الى صورة من صور التوكيد كانت مألوفة في كلام العرب، تلك هي اعادة لفظة الجملة التامة . فهو راجع على ما هو واضح لي، الى كون الجملة المفيدة التامة هي ارحب مجالا للمعنى الكامل الذي يهتم المتكلم بتوكيده اكثر من اهتمامه بتوكيد المعاني المقررة للكلمات المتنقلة، مفردة كانت ام مركبه، ومن ذلك قوله تعالى ((فان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا)) [٣] وقوله تعالى ((فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر)) هذه هي بعض الوان التكرار المتنوعه التي وردت في الكتاب العزيز وتناولتها الدراسات التي اهتمت باعجاز القرآن وبلاغته.

وهذه الدراسات التي اهتمت باعجاز القرآن وبلاغته ، وهذه الدراسات على الرغم من الجهود التي بذلت من اجلها وبذلها اصحابها في ميادين الاعجاز والبلاغه، فانها تبقى قاصرة لاعتمادها اسلوب النقاد العرب القدماء ، الذين كانوا ينظرون الى النص الادبي بصفته اجزاء متفرقه لا على انه كائن عضوي متكامل.

فتمهيدا الى تحليل النص دون النظر الى النص على انه عمل ادبي متكامل ، فلم يستطيعون ان يتجاوزا النص الواحد الى الخصائص الفنية العامة.

نستثني من ذلك في تناسق تراكيب القرآن والفاظه، او استيفاء نظمه لشروط الفصاحة والبلاغة المعروفة [١]

المبحث الأول

اهم الدراسات في ظاهرة التكرار في القرآن الكريم

اولا (معاني القرآن – للقراء ٢٠٧ هـ)

لم يغفل شيخ النحاة الكوفي عن ظاهرة التكرار في القرآن الكريم فحاول ان يعالج الظاهرة النحوية وتفسيرها وتحليلها ، وعد ظاهرة التكرار لونا من الوان التوكيد ، واستحسن واستهمن التكرار في ضوء ما ورد في القرآن الكريم ، فيستحسن مثلا تكرار كلمتين بمعنى واحد ، افصل بينهما فاصل ، ويب لى الاية الكريمة ((أيعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما" أنكم مخرجون)) [١] هنا اعيدت (أنكم) مرتين ومعناهما واحد ، الا ان ذلك حسن لما فرق بينهما وبين خبرهما بـ (إذا)[٢] ، وجوز التكرار أيضا إذا كانت اللفظتان المتكررتان متفتي المعنى مختلفتي اللفظ ، فجعل أحدهما لغو لقول الشاعر :

من النقر اللاء الذين إذا هم

تهاب اللئام حلقه الباب قعقعوا [٣]

ثم يعقب عليه قائلا" (إلا ترى انه قال : آلائي الذين ومعناهما الذين ، أستجير جمعهما لاختلاف لفظهما ولو اتفقنا، لم يجز ولا يجوز . ما قام زيد ، ولا مررت بالذين يطوفون) [٤]

ونرى استحسان القراء بتكرار (لا) في قوله تعالى ((كلا لا وزر) [٥] بدعوى إن (لا) الأولى كانت موصولة وجاءت الأخرى مفردة

فحسن اقترانها ويقبل التكرار على غير عيب اذا اختلف معنى اللفظتين المتكررتين ، لقول القائل : ما ماقلت بحسن ، انه جعل (ما) الاولى جحدا" ، والثانية في مذهب الذي [١]

وفي نفس هذا الموضع تراه مناسقا وراء قبول التكرار اذا كانت اللفظتان متفقتي المعنى لقولك للرجل : نعم نعم ، تكررها أو قولك : أعمل أعمل ، تشديدا للمعنى

كما انه يوافق على شيء قريب من هذا في موضع اخر فيقول (فخطأ ان تقول اظن أنك نادم الا أن تكرر التوكيد)[٢]

فهو بعد رفضه للتكرار في نحو (الذين الذين) قد قبل التكرار للتوكيد ، فلماذا لم يكن تكرار (الذين) للتوكيد ايضا ؟ نلاحظ ان (القراء) اجاز التكرار في قولك (نعم نعم للرجل) و (اعمل اعمل) وابطله في الذين الذين) يطوفون ، ولم نجد تعليل نعتمد عليه في الفرق بين الوجهين من الصحة والفساد، ولماذا يكون في الاول حسن وفي الثاني قبيح مع انه يفيد التوكيد في الموضعين [٣]

ونلاحظ القراء.يبتعد قليلا عن الجانب النحوي فيشير الى دلالة اخرى للتكرار في غير موضع التوكيد، وذلك في معرض حديثه عن تكرار قوله تعالى (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) : قال (والكلمة قد تكررها العرب